(مَعِيشَةَ ضَنْكًا) أى ضيقة (أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ) أى يبين لهم (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى) أى لولا أن الله جعل الجزاء يوم القيامة وسبقت بذلك كلمته لكان العذاب لزاما أى ملازما لا يفارق، مصدر لازمته وفيه تقديم وتأخير أراد لولا كلمته سبقت وأجل مسمى لكان العذاب لزاما. وفى تفسير أبى صالح لزاما آخذين (آنَاءَ اللَّيْلِ) ساعاته واحدها إنى و(زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أى زينتها وهو من زهرة النبات وحسنه (لِنَفْتِنَهُمْ) أى لنختبرهم (نَسْأَلُكَ رِزْقًا) أى لا نسألك رزقا لخلقنا ولا رزقا لنفسك

﴿غريب سورة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ومشكلها﴾

(اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ) أى اقتربت القيامة وهم فِي غَفْلَةٍ (مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا) أى ما آمنت بالآيات (وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ) لقولهم: ـ ماهذا إلا بَشَرٌ مثلكم ـ فقال الله تعالى وما جعلنا الأنبياء قبله أجساما لا يأكل الطعام ولا يموت فنجعله كذلك (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ) أى شرفكم وكذلك قوله تعالى ـ وإنه لذكر لك ولقومك ـ (وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ) أى أهلكناها وأصل القصم الكسر والكلام مجاز وقد تقدم فى سورة الكهف والمعنى قصمنا أهلها (إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ) أى يعدون وأصل الركض تحريك الرجلين يقال ركضت الفرس اذا أعديته بتحريكك رجليك فعدا ولا يقال فركض

ومنه قوله عز وجل ـ اركُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ ـ (ارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ) أي إلى نعمكم التي أترفتكم وهو من المقلوب قال قتادة ومن الاستهزاء قوله عز وجل ـ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ـ الآية (خَامِدِينَ) قد ماتوا فسكنوا وخمدوا (لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا) أي ولدا ويقال امرأة وأصل اللهو النكاح وهو مذكور في المشكل في باب الاستعارة ﴿قال أبو محمد﴾ ومنه قوله ـ (لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين) قال قتادة والحسن: اللهو المرأة وقال ابن عباس هو الولد والتفسيران متقاربان لأن امرأة الرجل لهو وولده لهو ولذلك يقال لامرأة الرجل وولده ريحانتاه وأصل اللهو الجماع فكني عنه باللهو كما كني عنه بالسر ثم قيل للمرأة لهو لأنها تجامع قال امرؤ القيس:

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالي

أي النكاح ويروى أيضا: وأن لا يحسن السر أمثالي. وتأويل الآية أن النصارى لما قالت في المسيح وأمه عليهما السلام ما قالت قال الله عز وجل ـ لو أردنا أن نتخذ لهوا ـ وولدا كما تقولون لاتخذنا ذلك من لدنا أي من عندنا ولم نتخذه من عندكم لو كنا فاعلين ذلك لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجه يكونان عنده وبحضرته لا عند غيره وقال الله سبحانه (إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ) يعني الملائكة ﴿غ﴾ (فَيَدْمَغُهُ) أي يكسره وأصل هذا إصابة الرأس والدماغ بالضرب وهو مقتل (فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) أي زائل ذاهب (لَا يَسْتَحْسِرُونَ) لا يعيون والحسير المنقطع به الواقف إعياء وكلالا

(وَهُمْ يُنْشِرُونَ) أى يحيون الموتى (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) أى حجتكم (هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ) يعنى القرآن (وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي) يعنى الكتب المتقدمة من كتب الله عز وجل يريد أنه ليس فى شىء منها أتخذ ولدا (لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ) أى لا يقولون حتى يقول ويأمر وينهى ثم يقولون عنه ونحوه قوله ـ لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ـ أى لا يقولون القول بالأمر والنهى قبله (وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) أى خائفون (كَانَتَا رَتْقًا) أى كانتا شيئا واحدا ملتئما ومنه يقال هو يرتق الفتق أى يسده ومنه قيل للمرأة رتقاء (فَفَتَقْنَاهُمَا) يقال كانتا مصمتين ففتقنا السماء بالمطر والأرض بالنبات (سَقْفًا مَحْفُوظًا) من الشياطين بالنجوم (وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ) أى عما فيها من الدلالة والعبر (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ) أى خلقت العجلة فى الانسان وهو من المقلوب (وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ) أى لا يجيرهم منا أحد لأن المجير صاحب لجاره (أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) يعنى ما حول مكة هو أطرافها أى نفتحها عليك (أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ) مع هذا (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ) أى وهو غلام (فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا) أى فتاتا وكل شىء كسرته فقد جذذته ومنه قيل للسويق جذيذ (قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ) أى يعيبهم وهذا كما يقال لئن ذكرتنى لتذمنّ يريد بسوء (فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ) أى بمرأى من الناس لا يأتوا به خفية (ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُسِهِمْ) أى ردوا إلى أول ما كانوا يعرفونها به من أنها لا تنطق

(قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ) فحذف قالوا اختصارا ومن باب التعريض قوله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) أراد بل فعله الكبير إن كانوا ينطقون فسئلوهم فجعل النطق شرطا للفعل إن كانوا ينطقون فقد فعله وهو لا يفعل ولا ينطق ومن هذا الباب قوله ـ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ـ المعنى إنا لضالون أو مهتدون وإنكم أيضا لضالون أو مهتدون وهو يعلم أن رسوله المهتدى وأن مخالفه الضال وهذا كما تقول للرجل يكذبك ويخالفك انّ أحدنا لكاذبٌ وأنت تعنيه فكذبته من وجه هو أحسن من التصريح كذلك قال الفراء ﴿غ﴾ (كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا) أى وسلامة أى لا تكون بردا مؤذيا مضرا (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً) دعا باسحاق فاستجيب له وزيد يعقوب نافلة كأنه تطوع من الله عز وجل وتفضل بالدعاء وإن كان كل بفضله (نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ) رعت ليلا يقال نفشت الغنم بالليل وهو إبل نفش ونفاش والواحد نافش وسرحت وسربت بالنهار (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ) يعنى الدُّرُوعَ (لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ) أى من الحرب (عَاصِفَةً) شديدة الحر وقال فى موضع آخر ـ فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ـ أى لينة كأنها كانت تشتد إذا أراد وتلين إذا أراد ﴿ش﴾ (وَذَا النُّونِ اذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا) الآية (قال أبو محمد) يستوحش كثير من الناس من أن يلحقوا بالأنبياء ذنوبا ويحملهم التنزيه لهم عليهم السلام على مخالفة كتاب الله واستكراه

التأويل وعلى أن يلتمسوا لألفاظه المخارج البعيدة بالحيل الضعيفة التي لا تخيل عليهم أو على من علم منهم أنها ليست لتلك الألفاظ بشكل ولا لتلك المعانى بلفق كتأولهم فى قول الله عز وجل ـ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ـ أى بشم من أكل الشجر وذهبوا إلى قول العرب غوى الفصيل اذا أكثر من اللبن حتى يبشم وذلك غوى بفتح الواو يغوى غيًّا وهو من البشم غوى بكسر الواو يغوى غوى قال الشاعر يذكر قوسا :

مصطفة الأثناء ليس فصيلها ... برازئها درًّا ولا ميّت غوى (١)

وأراد بالفصيل السهم يقول : ليس يرزؤها درًّا ولا يموت بشما ولو وجدوا أيضا مثل هذا السنن فى عصى آدم لركبوه وليس فى غوى شىء إلا مافى عصى من معنى الذنب لأن العاصى لله تعالى التارك لأمره غاوٍ فى حاله تلك والغاوى عاص والغى ضد الرشد كما أن المعصية ضد الطاعة وقد أكل آدم عليه السلام من الشجرة التى نهى عنها باستزلال إبليس وخدائعه إياه بالله والقسم به إنه لمن الناصحين حتى دلاه بغرور ، ولم يكن ذنبه عن إرصاد وعداوة وإرهاص كذنوب أعداء الله ﴿ قال أبو محمد ﴾ فنحن نقول : عصى وغوى كما قال الله تبارك وتعالى ، ولا نقول آدم عاص ولا غاوٍ لأن ذلك لم يكن عن اعتقاد متقدم ولا نية صحيحة كما تقول لرجل قطع ثوبا وخاطه : قد قطعه وخاطه ، ولا تقول خائط ولا خياط حتى يكون معاودا لذلك الفعل معروفا به وكتأولهم فى قوله ـ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ـ أنها همت بالمعصية

---

(١) قاله عامر المجنون يصف قوسا وسهما

وهم هو بالفرار منها ، وقال بعضهم : وهمّ بضربها والله تعالى يقول ـ لولا أنْ رأى بُرهانَ ربّه ـ أفتراه أراد الفرار منها أو الضرب لها ، فلما رأى البرهان أقام عندها أو أمسك عن ضربها ؟ هذا ما ليس به خفاء على غلط متأوله ، ولكنها همت منه بالمعصية همّ نية واعتقاد ، وهم نبي الله صلى الله عليه وسلم هما عارضا بعد طول المراودة وعند حدوث الشهوة التي أتى أكثر الأنبياء عليهم السلام في هفواتهم منها ، وقد روى في حديث أنه ليس من نبي إلا وقد أخطأ أو هم بالخطيئة غير يحيى بن زكرياء عليهما السلام ، لأنه كان حصورا لا يأتي النساء ولا يريدهن . فهذا يدلك على أن أكثر زلات الأنبياء عليهم السلام من هذه الجهة وإن كانوا لم يأتوا في شيء منها فاحشة بنعم الله عز وجل عليهم منه لا إله إلا هو ، فان الصغير منهم كبير لما آتاهم الله عز وجل من المعرفة واصطفاهم له من الرسالة وأقام لهم من الحجة ولذلك قال يوسف عليه السلام ـ وما أبرّئ نفسي ان النفْسَ لأمّارة بالسوء ـ يريد ما أضمره وحدث به نفسه عند حدوث الشهوة وقد وضع الحرج عمن هم بخطيئة ولم يعملها . وقالوا في قوله عز وجل ـ وذا النُّونِ اذْ ذَهَبَ مُغاضِبًا ـ أنه غاضب قومَه استيحاشا من أن يكون مع تأييد الله وعصمته وتوفيقه وتطهيره يخرج مغاضبا لربه ولم يذهب مغاضبا لربه ولا لقومه لأنه بعث اليهم فدعاهم برهة من الدهر فلم يستجيبوا ، ووعدهم عن الله عز وجل فلم يرغبوا ، وحذرهم بأسه فلم يرهبوا ، وأعلمهم أن العذاب نازل عليهم ت ذكره لهم ، ثم اعتزلهم ينتظر هلكتهم فلما حضر الوقت أو قرب

فكر القوم واعتبروا فتابوا إلى الله تبارك وتعالى وأنابوا وخرجوا بالمراضع وأطفالها يجأرون ويضرعون فكشف الله عز وجل عنهم العذاب ومتعهم إلى حين . فان كان نبي الله عليه السلام ذهب مغاضباً على قومه قبل أن يؤمنوا فانما راغم من استحق في الله أن يراغم، وهجر من وجب أن يهجر، واعتزل من علم أن قد حقت عليه كلمة العذاب، عافانا الله وأعاذنا بفضله. فأي ذنب عوقب بالتقام الحوت والحبس في الظلمات والغم الطويل ؟ وما الأمر الذي ألام فيه فنهاه الله تعالى عليه إذ يقول عزت كلمته — فالتقمه الحوت وهو مليم — ؟ والمليم الذي أجرم جرما استوجب به اللوم . ولِمَ أخرجه من أولي العزم من الرسل حين يقول تبارك وتعالى لرسوله وعبده الكريم محمد ﷺ — واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت — وإن كان الغضب عليهم بعد أن آمنوا فهذا أغلظ مما أنكروا وأفحش مما استقبحوا كيف يجوز أن يغضب على قومه حين آمنوا ؟ ولذلك انتجب وبه بعث واليه دعا وما الفرق بين عدو الله ووليه إن كان وليه يغضب من إيمان مائة ألف أو يزيدون ﴿قال أبو محمد﴾ : والقول في هذا أن المغاضبة المفاعلة من الغضب والمفاعلة تكون من اثنين تقول : غاضبت فلانا مغاضبة وتغاضبا اذا غضب كل واحد منكما على صاحبه كما تقول ضاربته مضاربة وقاتلته مقاتلة وتضاربنا وتقاتلنا، وقد تكون المفاعلة من واحد فتقول غاضبت من كذا أي غضبت من كذا كما تقول سافرت وناوزات وعاليت الرجل وشارفت الموضع وجاوزت وضاعفت وظاهرت وعاتبت ومعنى المغاضبة هاهنا الأنفة لأن الأنف من

الشيء يغضب فتسمى الأَنَفَة غضبا والغضب أنفة إذا كان كل واحد منهما بسبب من الآخر تقول غضبت لك من كذا وأنت تريد أنفت لك قال الشاعر :

غَضِبْتُ لكم أن تُسَاموا الكفاء بشحناء من رحم تُوصَلُ

الكفاء النقصان يقال منه فى مثل هذا الكفاء من الوفاء بشحناء أى التفاف الرحم كما قال النبى ﷺ « إنّ الرحم شحنة من الله » أى متصلة ملتفة بما يقرب اليه . يروى مرة غضبت لكم ومرة أنفت لكم، لأن المعنيين متقاربان وكذلك العبد أصله الغضب ثم قد تسمى الأَنفة عبداً قال الشاعر :

واعْبَدُ أن تهجى كُلَيْبٌ بدارم

يريد آنف وحكى أبو عبيد عن أبى عمرو الشيبانى أنه قال فى قول الله عز وجل — فأنا أول العابدين — هو من الغضب والأَنفة يفسر الحرف بمعنيين لتقاربهما فكأن نبى الله ﷺ لما أخبرهم عن الله عز وجل أنه منزل العذاب عليهم لأجل ثم بلغه بعد مضى الأجل أنه لم يأتهم ما وعدهم خشى أن ينسب إلى الكذب ويعير به ويحقق عليه لاسيما ولم تكن قرية آمنت عند حضور العذاب فنفعها إيمانها غير قومه فدخلته الأنفة والحمية وكان مغيظا بطول ماعاناه من تكذيبهم وهزئهم وأذاهم واستخفافهم بأمر الله مشتهيا لأن ينزل بأس الله بهم، هذا إلى ضيق صدره وقلة صبره على ماصبر على مثله أولوا العزم من الرسل . وقد روى فى الحديث أنه كان ضيق الصدر فلما حمل أعباء النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل، فمضى على وجهه مضى

الآبق الذى يقول الله سبحانه ـ وإنّ يونس لمن المرسلين إذْ أبقَ إلى الفُلْك المشحون ـ فظن أنْ لَنْ نقدرَ عليه ـ أى لن نضيق عليه وأنا نخليه ونهمله والعرب تقول فلان مقدر عليه فى الرزق ومقتر عليه بمعنى واحد أى مضيق عليه ومنه قول الله عز وجل ـ وأمّا إذا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ـ وقدّر بالتخفيف والتثقيل قال أبو عمرو بن العلاء : قدرَ وقترَ وقدّر وقتّر بمعنى واحد أى ضيق فعاقبه الله عز وجل عن حميته وأنفته وإباقته وكراهته العفو عن قومه وقبول إنابتهم بالحبس له والتضييق عليه فى بطن الحوت. وفى رواية أبى صالح أن ملكا من ملوك بنى إسرائيل كان أمره بالمسير إلى نينوى ليدعو أهلها بأمر شعياء النبى عليه السلام فأنف من أن يكون ذهابه اليهم بأمر أحد غير الله عز وجل فخرج مغاضبا للملك فعاقبه بالتقام الحوت قال فلما قذفه الحوت بعثه الله سبحانه إلى قومه فدعاهم وأقام بينهم حتى آمنوا ﴿غ﴾ (وتَقَطَّعُوا أمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ) أى تفرقوا فيه واختلفوا (فَلاَ كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ) أى لا يجحدها عمل (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أهْلَكْنَاهَا أنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ) أى حرام عليهم أن يرجعوا ويقال حرام واجب وقال الشاعر :

فانّ حراماً لا أرى الدّهر باكيا ... على شَجْوِهِ إلاَّ بكَيْتُ على عَمْرو

أى واجب ومن قرأ وحِرْمٌ فهو بمنزلة حَرَام يقال حِرْم وحرام كما يقال حِلٌّ وحلال (وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ) أى من كل نشز من الأرض وأكمة ينسلون من النسلان وهو مقاربة الخطو مع الاسراع كمشى الذئب إذا بادر والنسلان مثله (وَاقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ) يعنى يوم القيامة

(حَصَبُ جَهَنَّمَ) أى ما ألقى فيها وأصله من الحصباء وهى الحصا ويقال حصبت فلانا رميته بالحصباء بتسكين الصاد وما رميت به فهو حَصَبٌ بفتح الصاد كما تقول نفضت الشجرة نفضا واسم ماوقع منها نفض واسم حصى الجمار حصب (السِّجِلّ) الصحيفة (أَنَّ الأَرضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ) يقال أرض الجنة ويقال الارض المقدسة يرثها أمة محمد ﷺ (آذَنتُكُم عَلَى سَوَاءٍ) أى أعلمتكم فصرت أنا وأنتم على سواء وإنما يريد نابذتكم وعاديتكم وأعلمتكم ذلك فاستوينا فى العلم وهذا من المختصر

غريب سورة الحج ومشكلها

(تَذْهَلُ كلُّ مرضعةٍ) أى تسلوا عن ولدها وتتركه (كُتِبَ عَلَيه) أى على الشيطان (أَنَّهُ مَنْ تولاّه فَأَنَّهُ يُضِلُّه) (مخلّقة) يعنى تامة (وغير مخلّقة) غير تامة يعنى السقط (لِنُبيِّنَ لَكُم) كَيْفَ نخلقكم فى الارحام (وَمِنكُمْ مَنْ يُتَوَفّى) قبل بلوغ الهرم (وَمِنكُمْ مَنْ يُردُّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ) أى الخرف والهرم (وَتَرَى الأَرضَ هَامِدَةً) أى ميتة يابسة ومثل ذلك همود النار إذا طفئت فذهبت (اهْتَزَّتْ) أى بالنبات (وَرَبَتْ) انتفخت (وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) أى من كل جنس حسن يبهج أى يسر وهو فعيل بمعنى فاعل يقال امرأة ذات خلق باهج (ثَانِىَ عِطْفِهِ) أى متكبر معرض (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ) أى على وجه واحد ومذهب واحد (فَإِنْ أَصَابَهُ خَيرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ

انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ) أى ارتدى (لَبِئْسَ الْمَوْلَى) أى الولى (وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ) أى الصاحب والخليل ﴿ ش ﴾ (مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ) ﴿ قال أبو محمد ﴾ كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله ورسوله ﷺ من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون ألا يتم له أمره فقال الله عزت كلمته (مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ) يعنى محمداً ﷺ على مذاهب العرب فى الاضمار لغير مذكور وهو يسمى أعده النصر والاظهار والتمكين إذ كان يستعجل به قبل الوقت الذى قضيت أن يكون ذلك فيه (فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ) أى بحبل (إلى السَّمَاءِ) يعنى سقف البيت وكل شىء علاك فأظلك فهو سماء والسحاب سماء يقول الله سبحانه ـ وأنزلنا مِنَ السَّماء ماءً مُبَاركا ـ وقال سلامة بن جندل يذكر قتل كسرى النعمان:

هو المدخِلُ النعمانَ بَيْتاً سماؤُهُ ... نحورُ الفُيُولِ بعد بَيْتٍ مُسَرْدَقِ

يعنى سقفه وذلك أنه أدخله بيتا فيه فيلة فتوطأته حتى قتلته وقوله (ثُمَّ لْيَقْطَعْ) قال المفسرون أى ليختنق (فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ ما يَغِيظ) هل يذهب ذلك مافى قلبه وهذا كرجل وعدته شيئا مرة بعد مرة ووكدت على نفسك الوعد فهو يراجعك فى ذلك ولا تسكن نفسه إلى قولك فتقول له : إن كنت لاتثق بما أقوله فاذهب فاختنق يريد أجهدك . هذا معنى قول المفسرين، وفيه وجه آخر على طريق الامكان وهو

أن تكون السماء هاهنا السماء بعينها لا السقف كأنه قال : فليمدد بسبب اليها أى بحبل ليرتقى اليه (ثم ليقطع) حتى يخر فيهلك أى ليفعل هذا إن بلغ جهده (فينظر) هل ينفعه ومثله قوله لرسول الله ﷺ حين سأله المشركون أن يأتيهم بآية ولم يشأ الله تعالى أن يأتيهم بها فشق ذلك عليه صلوات الله وسلامه عليه ـ وإن كان كبر عليك إعراضهم فان استطعت أن تبتغى نفقاً فى الأرض أو سلماً فى السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ـ يريد اجهد إن بلغ هذا جهدك * وروى عن ابن عيينة عن ابن أبى نجيح أن رجلا سأل ابن عمر وابن عباس وأبا هريرة رضى الله عنهم عن رجل قتل مؤمنا متعمداً هل له توبة فكلهم قال يستطيع أن يحييه هل يستطيع أن يبتغى نفقاً فى الأرض أو سلماً فى السماء يريدون أنه لا توبة له كما أن هذا لا يكون ﴿ وقال أبو عبيدة ﴾ (مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ) أى يرزقه الله وذهب إلى قول العرب : أرض منصورة أى ممطورة وقد نُصِرت الأرضُ أى مطرت كأنه يريد من كان قانطاً من رزق الله ورحمته فليفعل ذلك ـ ولينظر هل يذهبن كيده مايغيظ ـ أى حيلته غيظه لتأخر الرزق عنه ﴿ غ ﴾ (يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ) أى الماء الحار (يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ) أى يذاب يقال صهرت اليها الشحمة والصهارة ما أذيب من الأليـة (سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) أى المقيمُ فيه والبادى هو الطارىء من البدو سواء فيه ليس المقيم فيه بأولى من النازح اليه (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ) أى من يرد فيه إلحاداً وهو الظلم والميـل عن

الحق فزيدت الباء كما قال تعالى ـ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ـ وكما قال الشاعر : ـــ

* سوء المحاجر لا يقرأن بالسور * أى لا يقرأن السور

وقال الآخر : ـــ * نضرب بالسيف ونرجو بالفرج *

(وإذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ) أى جعلناه له بيتاً (يَأْتُوكَ رِجَالاً) أى رَجّالَةً جمع راجلٍ مثل صاحب وصحاب (وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ) أى رُكْبَاناً على ضمر من طول السفر (مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) أى بعيد غامض (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ) يقال التجارة (وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِى أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ) يوم التروية . وعرفة . ويوم النحر . ويقال أيام العشر كلها (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ) والتفثُ الأخذ من الشارب والأظفار ونتف الأبطين وحلق العانة و(الْبَيْتُ الْعَتِيقُ) سمى بذلك لأنه عتيق من التجبر فلا يتكبر عنده جبار (وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ) يعنى رمى الجمار والوقوف بجمع وأشباه ذلك وهى شعائر الله (وَأُحِلَّتْ لَكُمُ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ) يعنى فى سورة المائدة من الميتة والموقوذة والمتردية والنطيحة (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ) هذا مثل ضربه الله تعالى لمن أشرك به فى هلاكه وبعده عن الهدى (والسَّحِيقُ) البعيد ومنه يقال بعداً وسحقاً وأسحقه الله (صَوَافَّ) أى صفت أيديها وذلك إذا قرنت أيديها عند النحر (فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا) أى سقطت ومنه يقال وجبت الشمس إذا غابت . و(الْقَانِعُ) السائل يقال قنع يقنع قناعة (والْمُعْتَرُّ) الذى يعتر بك أى يلم بك لتعطيه ولا يسأل يقال اعترنى وعرنى وعراني واعتراني

(لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا) كانوا إذا نحروا فى الجاهلية البُدُنَ نضحوا دماءها حول الكعبة فأراد المسلمون أن يصنعوا ذلك فأنزل الله عز وجل (لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا) (لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ) للصابئين (وَبِيَعٌ) للنصارى (وَصَلَوَاتٌ) يريد وبيوت صلوات يعنى كنائس اليهود (وَمَسَاجِدُ) المسلمين هذا قول قتادة وقال الاديان ستة خمسة للشيطان وواحد للرحمن والصابئون قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلى القبلة ويقرؤن الزبور. والمجوس يعبدون الشمس والقمر. والذين أشركوا يعبدون الأوثان واليهود والنصارى (وَقَصْرٍ مَشِيدٍ) يقال هو المبنى بالشيد وهو الجص والمشيد المطول ويقال المشيد والمشيد جميعاً سواءٌ فى معنى المطول وقال عدى بن زيد: —

شاده مرمراً وجلله كلساً فللطير فى دراه وكور

يريد أعلاه بمرمر (مُعَاجِزِينَ) مسابقين (إِلَّا إِذَا تَمَنَّى) أى تلا القرآن (أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِى أُمْنِيَّتِهِ) فى تلاوته (فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ) أى تخضع وتذل و(عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ) كأنه عقم من أن يكون فيه خير أو فرج للكافرين (جَعَلْنَا مَنْسَكًا) أى عيداً (مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا) أى برهانا ولا حجة (يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا) أى يتناولونهم بالمكروه من الشتم والضرب ﴿ش﴾ (يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ) ثم قال (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ) لم يأت بالمثل لأن فى الكلام معناه كأنه قال يا أيها الناس مثلكم

مثل عبدة آلهة اجتمعت لأن تخلق ذباباً فلم تقدر عليه وسلبها الذباب شيئا فلم تستنقذه منه (هُوَ اجْتَبَاكُمْ) أى اختاركم (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) أى ضيق (هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِى هَذَا) يعنى القرآن (لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ) أنه قد بلغكم (وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) بأن الرسل قد بلغتهم (فَنِعْمَ الْمَوْلَى) أى الولى (وَنِعْمَ النَّصِيرُ) أى الناصر مثل قدير وقادر وسميع وسامع .

﴿ غريب سورة المؤمنين ومشكلها ﴾

(اللَّغْوُ) باطل الكلام والمزاح (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ) ﴿ قال أبو محمد ﴾ قال مجاهد هو البستان المخصوص بالحسن بلسان الروم ثم قال (هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) فأنث ذهب إلى الجنة (مِنْ سُلَالَةٍ) قال قتادة استل آدم (مِنْ طِينٍ) وخلقت ذريته من ماء مهين يقال للولد سلالة أبيه وللنطفة سلالة وللخمر سلالة ويقال إنما جعل آدم من سلالة لأنه سل من كل تربة (عَلَقَةً) واحدة العلق وهو الدم (وَالْمُضْغَةُ) اللحمة الصغيرة سميت بذلك لأنها بقدر مايمضغ كما يقال غرفة بقدر مايغرف (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) أى خلقناه بنفخ الروح فيه خلقا آخر (سَبْعَ طَرَائِقَ) سبع سموات كل سماء طريقة ويقال هى الافلاك كل واحد طريقة وإنما سميت طرائق بالتطارق لأن بعضها فوق بعض يقال طارقت الشيء إذا جعلت بعضه فوق بعض ويقال ريش مطراف (وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ)

مثل الصباغ كما يقال دبغ ودباغ ولبس ولباس (فَاسْلُكْ فِيهَا) أى ادخل فيها يقال سلكت الخيط فى الابرة وأسلكته (وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) وسعنا عليهم حتى أترفوا والترفة منه ونحوها التحفة كأن المترف هو الذى يتحف (فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً) أى هلكى كالغثاء وهو ماعلا السيل من الزبد والقمش لأنه يذهب ويتفرق (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى) تتابع بفترة بين كل رسولين وهو من التواتر والأصل وتراً فقلبت الواو تاء كما قلبوها فى التقوى والتخمة والتكلان (وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ) أى أخباراً وعبراً (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً) أى دليلا وعلما (وَالرَّبْوَةُ) الارتفاع وكل شىء ارتفع أو زاد فقد ربا ومنه الربا فى البيع (ذَاتِ قَرَارٍ) أى يستقربها للعمارة (وَمَعِينٍ) ظاهر يقال هو مفعول من العين كأن أصله معيون كما يقال ثوب مخيط وبر مكيل (يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ) خوطب به النبى ﷺ وحده على مذهب العرب فى مخاطبة الواحد خطاب الجميع (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) أى دينكم دين واحد وهو الاسلام وقد تقدم أن الأمة الدين والجماعة من الناس والصنف منهم ومن غيرهم والأمة الحين والامام والربانى والأمة أيضا القامة ولم يذكره أبو محمد قال الأعشى : —

وإن معاوية الأكرمين حسان الوجوه طوال الأمم

يعنى القامات (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ) أى اختلفوا فى دينهم (زُبَراً) بفتح الباء جمع زبرة وهى القطعة ومن قرأ — زُبُراً — فانه أراد

جمع زبور أى كتبا (نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْرَاتِ) أى نسرع يقال سارعت إلى حاجاتك وأسرعت (بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِن هٰذَا) أى فى غطاء وغفلة (وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ) قال قتادة ذكر الله تعالى ذكره (الَّذِينَ هُم مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ . وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ . وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ) ثم قال للكفار (بَلْ قُلُوبُهُم فِى غَمْرَةٍ مِن هٰذَا) ثم رجع إلى المؤمنين فقال (ولهم أعمال مِنْ دون ذلك) أى من دون الاعمال التى عدد (هم لها عاملون) (يَجْأَرُونَ) أى يضجون ويستغيثون بالله (عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ) أى ترجعون القهقرى (مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ) يعنى بالبيت العتيق تفخرون به وتقولون نحن أهله وولاته (سَامِرًا) أى متحدثين ليلا والسمر حديث الليل وأصل السمر الليل قال ابن أحمد :

من دونهم إن جئتهم سمرا

أى ليلا ويقال هو جمع سامر كما يقال طالب وطلب وحارس وحرس ويقال هذا سامر الحى يراد المتحدثين منهم ليلا وسمر الحى (تَهْجُرُونَ) تقولون هجرا من القول وهو اللغو منه والهذيان وقال ابن عباس ـ تُهجِرون ـ بضم التاء وكسر الجيم فهذا من الهجر وهو السب والافحاش فى المنطق يريد سبهم النبى ﷺ ومن اتبعه (أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ) أى يتدبرون القرآن (بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ) أى بشرفهم (أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا) أى خراجا فهم يستثقلون ذلك (فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ) أى رزقه (عن

الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ) أى عادلون يقال نكب عن الأمر أى عدل عنه (وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ) يريد نقص الأموال والثمرات (فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ) أى ماخضعوا (حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ) يعنى الجوع (إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) أى يائسون من كل خير (فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) أى تخدعون وتصرفون عن هذا (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) أى الحسنى من القول قال قتادة سلم عليه إذا لقيته (وَهَمَزَاتُ الشَّيَاطِينِ) نخسها وطعنها ومنه قيل للغائب همزة كأنه يطعن وينخس اذا غاب (والبَرْزَخُ) مابين الدنيا والآخرة وكل شيء بين شيئين فهو برزخ ومنه فى قوله فى البحرين ـ وجعل بينهما برزخا ـ أى حاجزا (فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا) بكسر السين أى تسخرون منهم (وَسُخْرِيا) بضمها تسخرونهم من السخرة (حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي) أى شغلكم أمرهم عن ذكرى (فَسْئَلِ الْعَادِّينَ) أى الحساب (لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ) أى لاحجة له به ولا دليل. ومن التناقض والاختلاف الذى نحاوه فى مثل قوله تعالى ـ فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان ـ وهو يقول فى موضع آخر ـ فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون ـ وقوله ـ فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتسائلون ـ وهو يقول فى موضع آخر — وأقبل بعضهم على بعض يتسائلون — ﴿قال أبو محمد﴾ فالجواب فى ذلك أن يوم القيامة كما قال الله تبارك وتعالى ـ مقداره خمسين ألف سنة ـ ففى هذا اليوم يسئلون وفيه لا يسئلون لأنهم حيث يعرضون يوقفون على الذنوب ويحاسبون فاذا انتهت المسئلة ووجبت

الحجة ـ انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ـ وانقطع الكلام وذهب الخصام واسودت وجوه قوم وابيضت وجوه آخرين وعرف الفريقان بسيماهم وتطايرت الصحف من الأيدى فآخذ ذات اليمين إلى الجنة وآخذ ذات الشمال إلى النار . وكذلك قال ابن عباس فى قوله ـ فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان ـ قال هو موطن لا يسئلون فيه ومثله ـ لا يسئل عن ذنوبهم المجرمون ـ وقال ـ لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد وهذا يوم لا ينطقون ولا يؤذون لهم فيعتذرون ـ وهو يقول فى موضع آخر ـ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ـ ويقول ـ هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ـ والجواب عن هذا نحو الجواب الأول لأنهم يحتكمون ويدعى المظلومون على الظالمين ففى تلك الحال يختصمون فاذا وقع القصاص وثبت الحكم قيل لهم لا تختصموا لدى ولا تنقطعوا ولا تعتذروا فليس ذلك بمغن عنكم ولا نافع لكم فيخسئون وروى عبدالرزاق عن معمر عن قتادة أن رجلا جاء إلى عكرمة فقال أرأيت قول الله عز وجل ـ هذا يوم لا ينطقون ـ وقوله ـ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ـ فقال إنها مواقف فأما موقف منها فتكلموا واختصموا ثم ختم الله عز وجل على أفواههم فتكلمت أيديهم وأرجلهم فحينئذ لا ينطقون وقوله تعالى ـ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ـ وهو يقول فى موضع آخر ـ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ـ ـ فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة ـ تقطعت الارحام وبطلت الانساب وشغلوا بأنفسهم عن التسائل ـ وصعق من فى السموات ومن فى الأرض

إلا من شاء الله ـ فاذا نفخ فيه أخرى قاموا ينظرون ـ وأقبل بعضهم على بعض يتسائلون ـ وقالوا ـ من بعثنا من مرقدنا هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون ـ وهو معنى قول ابن عباس رضى الله عنه وسترى باقى الباب فى سورة حم السجدة إن شاء الله عز وجل وهو المستعان لاشريك له

﴿ غريب سورة النور ومشكلها ﴾

(وَفَرَضْنَاهَا) أى فرضنا مافيها (وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ) أى يدفعه عنها والعذاب الرجم ﴿قال أبو محمد﴾ قوله (جَاءُوا بِالْإِفْكِ) أى بالكذب وقوله (لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) يعنى عائشة رضى الله عنها أى تؤجرون فيه أى عظمه قال الشاعر يصف امرأة : ـ

تنام عن كبر شأنها فاذا ... قامت رويدا تكاد تنغرف (١)

أى تنام عن عظم شأنها لأنها منعمة (وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا) أى بأمثالهم على مامر فى الاستعارة (لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) أى هلا جاؤا عليه (فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ) أى خضتم فيه (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ) أى تقبلونه وتلقونه أخذه من الولق وهو الكذب وبذلك قرأت عائشة رضى الله عنها (مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا) أى ما ظهر (وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ) أى يطهر (وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ) أى لا يحلف وهو يفتعل من الالية وهى اليمين وقرئت أيضا ولا يتأل على يتفعل (أَنْ يُؤْتُوا) أراد لايؤتوا

---

(١) روايته : ما أنسى سلمى غداة تنصرف ... تمشى رويداً تكاد تنغرف

فحذف لا وكان أبو بكر رضوان الله عليه حلف ألا ينفق على مسطح وقرابته الذين ذكروا عائشة رضى الله عنها وقال أبو عبيدة رحمه الله (وَلَا يَأْتَلِ) هو يفتعل من ألوت تقول ما ألوت أن أصنع كذا وكذا وما آلوا جهدا قال النابغة الجعدى :

وأشمط عريانا يشد كتافه ... يلام على جهد القتال وما اقتلا

أى ما ترك جهدا (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ) الذين هاهنا الحساب (الْخَبِيثَاتُ) من الكلام (لِلْخَبِيثِينَ) من الناس (وَالْخَبِيثُونَ) من الناس (لِلْخَبِيثَاتِ) من الكلام (أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ) يعنى عائشة رضى الله عنها وكذلك (الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ) على هذا التأويل (حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا) والاستيناس أن يعلم من فى الدار تقول استأنست فما رأيت أحدا أى استعلمت وتعرفت ومنه ـ فان آنستم منهم رشدا ـ أى علمتم قال النابغة : ـ

كأن رحلى وقد زال النهار بنا ... بذى الجليل على مستأنس وحد

يعنى ثورا أبصر شيئا فهو فزع (بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ) أى بيوت الخانات (فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ) أى منفعة بالكن من الحر والبرد والستر والمتاع النفع (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) يقال الدملج والوشاحان ونحو ذلك (إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) يقول الكف والخاتم ويقال الكحل والخاتم (أَوْ إِخْوَانِهِنَّ) يعنى الاخوة (أَوْ نِسَائِهِنَّ) يعنى المسلمات ولا ينبغى للمسلمة أن تتجرد بين يدى كافرة (أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ)

يريد الاتباع الذين ليست لهم إربة فى النساء أي حاجة مثل الخصى والخنثى والشيخ الهرم (أو الطِّفْل) يريد الأطفال يدلك على ذلك قوله تعالى (الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ) أى لم يعرفوها ولم يفهموها (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) أى لا يضربن بأحدى الرجلين على الأخرى ليصيب الخلخال الخلخال فيعلم أن عليها خلخالين (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ) الأيامى من الرجال والنساء وهم الذين لا أزواج لهم يقال رجل أيم وامرأة أيم ورجل أرمل وامرأة أرملة ورجل بكر وامرأة بكر إذا لم يتزوجا ورجل ثيب وامرأة ثيب إذا كانا قد تزوجا (وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ) أى من عبيدكم يقال عبد وعباد وعبيد كما يقال كلب وكلاب وكليب (وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ) أى يريدون المكاتبة على أنفسهم من العبيد والاماء (فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) أى حفافا وأمانة (وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ) أى اعطوهم وضعوا عنهم شيئا مما يلزمهم (وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ) أى لا تكرهوا الاماء على الزنا (لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أى لتأخذوا من أجورهن على ذلك (وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقال للاماء (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) إلى قوله (فَمَالَهُ مِنْ نُورٍ) أى بنوره يهتدى من فى السموات ومن فى الأرض (مَثَلُ نُورِهِ) فى قلب المؤمن (كَمِشْكَاةٍ) وهو الكوة غير النافذة (فِيهَا مِصْبَاحٌ) أى سراج المصباح فى قنديل القنديل كأنه من

شدة بياضه (كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ) مضيء منسوبة إلى الدر ومن قرأ درىء بالهمز وكسر الدال فانه من الكواكب الدراري وهن اللائي يدرأن عليك أي يطلعن وتقديره فعيل من درأت أي دفعت بتوقد ذلك المصباح (زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ) أي ليست في مشرقة أبدا فلا يصيبها ظل ولا في مقناة أبداً فلا يصيبها الشمس ولكنها قد جمعت الأمرين فهي شرقية غربية يصيبها الشمس في وقت ويصيبها الظل في وقت وإذا كانت كذلك فهو أنضر لها وأجود لحملها وأكثر لنزلها وأصفى لدهنها. هذا لفظ الفريابي ﴿وقال في المشكل﴾ وهذا مثل ضربه الله عز وجل لقلب المؤمن وما أودعه بالايمان والقرآن من نوره فبدأ فقال (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ) يعني في قلب المؤمن. كذلك قال المفسرون وكان أبي بن كعب رحمه الله يقرأ (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِ المُؤْمِنِ) ﴿قال أبو محمد﴾ روى ذلك عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية: يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ يَسْسَهُ نَارٌ من شدة صفائه. وتم الكلام ثم ابتدأ فقال (نُورٌ عَلَى نُورٍ) يعني نور المصباح على نور الزجاجة والدهن (يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ) ثم قال هذا المصباح (فِي بُيُوتٍ) يعني المساجد وذكر أهلها فقال (يُخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ) يريد أن القلوب يوم القيامة تعرف أمره يقينا فتنقلب عما كانت عليه من الشك والكفر وأن الأبصار يومئذ ترى ما كانت مغطاة عنه فتنقلب عما كانت عليه ونحوه ـ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك

غطاءك فبصرك اليوم حديد ـ ﴿ قال أبو محمد ﴾ قد اشترك فى هذه الآية قول الكتابين أعنى المشكل والغريب فلم نسق لذلك نص المشكل إذ كان قريبا من قوله فى الغريب إلا أنه قال فى الغريب (تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ) أى تنقلب عما كانت عليه فى الدنيا من الشك والكفر وتتفتح فيه الأبصار من الاغطية والمعانى واحدة إلا أنا شرطنا سياقة مافى الكتابين جميعا والله الموفق للصواب ﴿ ش ﴾ ثم ضرب مثلا للكافرين فقال (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً) أى كالسراب يحسبه العطشان من البعد ماء يرويه (حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا) كذلك الكافر يحسب ماقدم من عمله نافعه حتى إذا جاءه أى مات لم يجد عمله شيئا لأن الله عز وجل قد أبطله بالكفر (وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ) أى عند عمله (فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ) ثم ضرب مثلا آخر فقال تعالى (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) يريد أنه فى حيرة من كفره كهذه الظلمات (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا) فى قلبه (فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) ﴿ غ ﴾ (السَّرَابُ) مارأيته من الشمس كالماء نصف النهار والآل مارأيته فى أول النهار وآخره الذى يرفع كل شىء (بِقِيعَةٍ) والقيعة القاع قال ذلك أبو عبيدة. وأهل النظر من أصحاب اللغة يذكرون أن القيعة جمع قالوا : القاع واحده مذكر وثلاثة أنواع والكثير منها قيعان وقيعة (وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ) قد صفت أجنحتها فى الطيران (يُزْجِي سَحَابًا) أى يسوقه (ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا) أى

بعضه فوق بعض (تَرَى الْوَدْقَ) يعنى المطر (يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) أى من خلاله (سَنَا بَرْقِهِ) ضوئه (يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ) أى مقرين خاضعين (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا) وتم الكلام ثم قال: (طاعة معروفة) وأراد هى طاعة معروفة وفى هذا الكلام حذف للإيجاز يستدل بظاهره عليه كأن القوم كانوا يناقضون ويحلفون فى الظاهر على مايضمرون خلافه فقيل لهم لاتقسموا هى طاعة معروفة صحيحة لا نفاق فيها لا طاعة فيها نفاق وبعض النحويين يقولون الضمير فيها لتكن منكم طاعة معروفة (فَإِنْ تَوَلَّوْا) أى أعرضوا (فَإِنَّمَا عَلَيْهِ) أى على الرسول (مَا حُمِّلَ) من التبليغ (وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ) من القبول أى ليس عليه ألا تقبلوا (لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) يعنى العبيد والاماء (وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ) يعنى الأطفال (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) ثم بينهن فقال (مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ) يريد عند النوم ثم قال (ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ) يريد هذه الاوقات لأنها أوقات التجرد وظهور العورة فأما قبل صلاة الفجر فللخروج من ثياب النوم ولبس ثياب النهار وأما عند الظهيرة فلوضع الثياب للقائلة وأما بعد صلاة العشاء فلوضع الثياب عند النوم ثم قال (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ) أى بعد هذه الأوقات الثلاثة ثم قال (طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ) يريد أنهم خدمكم فلا بأس أن يدخلوا فى غير هذه الأوقات الثلاثة بغير إذن قال الله عز وجل - يطوف عليهم ولدان

مخلدون ـ أى يطوفون عليهم فى هـذه الخدمة وقال النبى ﷺ فى الهرة : « ليست بنجس إنما هى من الطوافين عليكم والطوافات » جعلها بمنزلة العبيد والاماء (وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يعنى الرجال (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ) يعنى العجز واحدها قاعد ويقال إنما قيل لها قاعد لقعودها عن الحيض والولد وقد تقعد عن الحيض والولد ومثلها يرجو النكاح أى يطمع فيه ﴿ قال أبو محمد ﴾ ولا أراها تسمت قاعدا إلا بالقعود لأنها إذا أسنت عجزت عن التصرف وكثرة الحركة وأطالت القعود فقيل لها قاعد بلاهاء ليدل بحذف الهاء على أنه قعود كبر كما قالوا امرأة حامل بلا هاء ليدل بحذف الهاء على أنه حمل حبل وقالوا فى غير ذلك قاعدة فى بيتها وحاملة على ظهرها (فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ) يعنى الرداء (وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ) بالرداء (خَيْرٌ لَهُنَّ) والعرب تقول امرأة واضع إذا كبرت فوضعت الخمار ولا يكون هذا إلا فى الهرمة قوله (لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ)إلى قوله(جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا) ﴿ قال أبو محمد ﴾ فى المشكل : كان المسلمون فى صدر الاسلام حين أمروا بالنصيحة ونهوا عن الخيانة ونزل عليهم ـ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ـ أى لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق وقوا النظر وأفرطوا فى التوقى وترك بعضهم مواكلة بعض فكان الأعمى لا يواكل الناس لأنه لا يبصر الطعام فيخلو أن يستأثر ولا يواكله الناس يخافون لضرره أن يقصر وكان الأعرج يتوقى ذلك لأنه يحتاج لزمانته أن يتفسح فى مجلسه

ويأخذ أكثر من موضعه ويخاف الناس أن يسبقوه لموضعه وكان المريض يخاف أن يفسد على الناس طعامهم بأمور قد تعترى مع المرض من رائحة تتغير أو جرح يبض أو أنف يذن أو بول يسلس وأشباه ذلك فأنزل الله عز وجل ليس على هؤلاء حرج فى مواكلة الناس وهو معنى قول ابن عباس فى رواية أبى صالح عنه . وأما عائشة رضى الله عنها فانها قالت : كان المسلمون يرغبون فى رسول الله ﷺ فى المغازى ويدفعون مفاتيحهم إلى الضمنى وهم الزمنى ويقولون لهم : قد أحللنا لكم أن تأكلوا فى منازلنا . فكانوا يتوقون أن يأكلوا من منازلهم حتى نزلت هذه الآية وإلى هذا يذهب الزهرى ثم قال (وَلاَ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ) أراد ولا عليكم أنفسكم أن تأكلوا من أموال عيالكم وأزواجكم وقال بعضهم أراد أن تأكلوا من بيوت أولادكم فنسب بيوت الأولاد إلى الآباء لأن الأولاد كسبهم وأموالهم كأموالهم يدلك على هذا أن الناس يتوقون أن يأكلوا من بيوتهم وأنه عدد القرابات وهم أبعد نسبا من الولد ولم يذكر الولد . وقال المفسرون فى قول الله جل وعز ـ تبت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب ـ أراد ما أغنى عنه ماله وولده فجعل الولد له كسبا ثم قال (أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ) يريد إخوتكم (أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاَتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ) يعنى العبيد لأن السيد يملك منزل عبده هذا على تأويل ابن عباس وقال غيره :

أو ما خزنتموه لغيركم يريد الزمنى الذين كانوا يخزنون للغزاة (أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا) من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وإن لم يحضروا ولم يعلموا من غير أن تتزودوا أو تحملوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أو فرادى وإن اختلفتم فكان منكم الزهيد والرغيب والصحيح والعليل وهذا من رخصته للقرابات وذوى الأواصر كرخصته فى الغرباء والأباعد لمن دخل حائطا وهو جائع أن يصيب من ثمره أو مرفق سفر بغنم وهو عطشان أن يشرب من رسلها وكما أوجب للمسافر على من مرّ به الضيافة توسعة منه عز وجل ولطفا بعباده ورغبة بهم عن دناءة الأخلاق وضيق النظر ﴿ غ ﴾ (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا) أى مجتمعين (أَوْ أَشْتَاتًا) أى متفرقين وكان المسلمين تحرجوا من مواكلة أهل الضر خوفا من أن يستأثروا عليهم ومن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس فى مآكلهم وزيادة بعضهم على بعض (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ) قال ابن عباس : يريد المساجد إذا دخلتها فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال الحسن : يسلم بعضكم على بعض كما قال تعالى ـ ولا تقتلوا أنفسكم ـ (وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ) يريد يوم الجمعة لَمْ يَذْهَبُوا إلا باذنه ويقال بل نزل هذا فى حفر الخندق وكان قوم يتسللون منه بلا إذن (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) يعنى فخموه وشرفوه وقولوا يارسول الله يانبى الله ونحو هذا ولا تقولوا يامحمد كما يدعو بعضكم بعضا بالاسماء (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا) أى من

يستتر بصاحبه فى استلاله ويخرج يقال لاذ فلان بفلان واللواذ مصدر لاوذت فعل اثنين ولو كان مصدرا للذت لكان لياذا هذا قول الفراء

﴿غريب سورة الفرقان ومشكلها﴾

قال أبو محمد (تبارك) من البركة والنشور الحياة بعد الموت (افترآه) تخرصه (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) أى تغيظا عليهم كذلك قال المفسرون وقال قوم بل يسمعون فيها تغيظ المعذبين وزفيرهم ويعتبروا ذلك بقول الله عز وجل - ولهم فيها زفير وشهيق - واعتبر الأولون بقوله تعالى فى سورة الملك - تكاد تميز من الغيظ - وهذا أشبه بالتفسير إن شاء الله بما أريد لأنه قال سبحانه سمعوا لها ولم يقل سمعوا فيها ولا منها (دعوا هنالك ثبورا) أى بالهلكة كما يقول القائل واهلاكاه (نسوا الذكر) يعنى القرآن (وكانوا قوما بورا) أى هلكى هو من بار يبور إذا هلك وبطل يقال بار الطعام إذا كسد وبارت الأيم إذا لم يرغب فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من بوار الأيم قال أبو عبيدة رحمه الله يقال رجل بور وقوم بور ولا يجمع ولا يثنى واحتج بقول الشاعر :

يارسول المليك إن لسانى ... راتق ما فتقت إذ أنا بور

وقد سمعنا برجل بائر ورأيناهم ربما جمعوا فاعلا على فعل نحو عائذ وعوذ وشارف وشرف (فما يستطيعون صرفا ولا نصرا) قال يونس الصرف الحيلة من قولهم إنه يتصرف فأما قولهم ما يقبل منه صرف ولا عدل فيقال إن

العدل الفريضة والصرف النافلة سميت صرفا لأنها زائدة على الواجب وقال أبو إدريس الخولانى : من طلب صرف الحديث يلتقى به إقبال وجوه الناس اليه لم يرح رائحة الجنة. أى طلب تحسينه بالزيادة فيه ورواية أبى صالح الصرف الدية والعدل رجل مثله كأنه يدى ولا يقبل منه أن يفتدى برجل مثله وعدله ولا أن يصرف عن نفسه بدية ومنه قيل صيرفى وصرف الدراهم بدنانير لأنك تصرف هذا إلى هذا (وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ) أى يكفر (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً) يعنى الشريف للوضيع والوضيع للشريف (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) أى لا يخافونا (وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) أى حراما محرما أن تكون لهم بشرى وإنما قيل للحرام حجر لأنه حجر عليه بالتحريم يقال حجرت حجرا واسم ما حجرت عليه حجر (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ) أى عمدنا اليه (فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) وأصل الهباء المنثور ما رأيته فى الكوة مثل الغبار من الشمس واحدها هباءة والهباء المنبث ما سطع من سنابك الخيل وهو من الهبوة والهبوة الغبار (تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ) أى تتشقق عن الغمام وهو سحاب أبيض فيما يذكر (يَا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) أى سببا ووصلة ومن باب الكناية قول الله عز وجل (يَا لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا) ﴿قال أبو محمد﴾ ذهب هؤلاء وقوم من المنسمين بالمسلمين إلى أنه رجل بعينه وقالوا لم كنى عنه ؟ وإنما يكنى هذه الكناية من يخاف المباراة ويحتاج إلى المراجاه وقال الآخرون

بل كان هذا الرجل مسمى فى هذا الموضع ذكر وكنى عنه وذهبوا إلى أنه عمر رضى الله عنه وتأولوا الآية فقالوا (يوم يعض الظالم) يعنى أبا بكر رضوان الله عليه يقول (يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا) يعنى محمداً ﷺ (يا ويلتا ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا) يعنى عمر (لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى) يعنى عليا رضى الله عنه ، قال أبو محمد ونقول فى الرد على أولئك : إذا كان غلطهم من جهة قد يغلط فى مثلها من رق علمه ، فأما هؤلاء ففى قولهم ما أنبأ عن نفسه ودل على جهل متأوله كيف يكون على رضى الله عنه ذكراً ؟ وهل قال أحد إن أبا بكر لم يسلم ولم يتخذ باسلامه مع الرسول سبيلا ؟ وليس هذا التفسير بنكير من تفسيرهم وما يدعونه من علم الباطل كادعائهم فى الجبت والطاغوت أنهما رجلان وأن الخمر والميسر أخوان وأن العنكبوت غير العنكبوت وأن النحل غير النحل فى أشياء كثيرة من سخفهم وجهالاتهم . وقال ابن عباس رضى الله عنه فى تفسير هذه الآية : إن عقبة بن أبى معيط صنع طعاماً ودعا أشراف أهل مكة وكان رسول الله ﷺ فيهم فامتنع من أن يطعم أو يشهد عقبة بشهادة الحق ففعل ذلك فأتاه أبى بن خلف وكان خليله فقال : صبأت ؟ قال لا ولكن دخل علىّ رجل من قريش فاستحييت أن يخرج من منزلى ولم يطعم فقال ما كنت لأرضى حتى تبصق فى وجهه وتفعل وتفعل ، ففعل ذلك فأنزل الله عز وجل هذه الآية عامة وهذان الرجلان سبب نزولها ، كما أنه قد كانت الآية والآى تنزل فى القصة تقع وهى لجماعة الناس ، والمفسرون على أن الآية نزلت فى

هذين الرجلين وإنما يختلفون فى ألفاظ القصة ، فأراد الله عز وجل بالظالم كل ظالم فى العالم، وأراد بفلان كل من أطيع بمعصية الله، وأرضى بأسخاط الله ولو نزلت هذه الآية على تقديرهم فقال تعالى (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ) وهامان وأبى بن خلف وعتبة بن ربيعة وشيبة والمغيرة وفلان بالأسماء على أيديهم يقولون: ياليتنا لم نتخذ فرعون ونمروذ وعقبة بن أبى معيط وأبا جهل والأسود وفلانا بالاسماء، لطال هذا وكثر وثقل ولم يدخل فيه من تأخر بعد نزول القرآن من هذا الصنف، وخرج من مذاهب العرب، بل عن مذاهب الناس فى كلامهم. فكان فلان كناية عن جماعة هذه الأسماء وقد يقول القائل ماجاء إلا فلان بن فلان يريد أشراف الناس المعروفين والشاعر[1] يقول :—

* فى لجة أمسك فلانا عن فُل *

يريد أمسك فلانا عن فلان ولم يرد رجلين بأعيانهما وإنما أراد أنهم فى غمرة الشر وصخبته، والحجزة تقول لهذا أمسك ولهذا كف، والظالم دليل على جماعة الظالمين كقوله عز وجل — ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا — يريد جماعة الكافرين. تم باب الكناية بحمد الله ﴿غ﴾ (إِنَّ قَوْمِى اتَّخَذُوا هٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً) هجروا فيه أى جعلوه كالهذيان والهجر الاثم يقال فلان يهجر فى منامه أى يهذى (وَأَصْحَابَ الرَّسِّ) الرس المعدن قال الجعدى :

* تنابلةٌ يحفرون الرِّساسا *

أى آبار المعادن وكل ركية تطوى فهى رس (تَبَّرْنَا تَتْبِيرا) أى

(١) هو أبو النجم . وصدر البيت : تدافع الشيب ولم تقتل

أهلكنا ودمرنا (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ) يقول يتبع هواه ويدع الحق فهو له كالآله (أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا) أى كفيلا وقيل حافظا ﴿ش﴾ (أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) إلى قوله (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) ﴿قال أبو محمد﴾ ومن المشكل امتداد الظل ما بين الفجر إلى طلوع الشمس كذلك قال المفسرون ، ويدلك عليه أيضا قوله فى وصف الجنة ـ وظل ممدود ـ أى لا شمس فيه كأنه ما بين هذين الوقتين (ولو شاء لجعله ساكنا) أى مستقرا دائما كظل الجنة التى لا تنسخه الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) يقول : لما طلعت الشمس دلت عليه وعلى معناه ، وكل الأشياء تعرف باضدادها ، فلولا الشمس ما عرف الظل ولولا النور ما عرفت الظلمة ، ولولا الحق ما عرف الباطل ، وهكذا سائر الألوان والطعوم . قال الله سبحانه — ومن كل شىء خلقنا زوجين — يريد ضدين ذكرا وأنثى وأسود وأبيض وحلوا وحامضا وأشباه ذلك (ثم قبضناه إلينا) يعنى الظل بعد غروب الشمس ، وذلك أن الشمس إذا غربت عاد الظل الممدود وذلك وقت قبضه وقوله (قبضا يسيرا) أى خفيا لأن الظل بغروب الشمس لا يذهب كله دفعة ولا يقبل الظلام كله جملة ، وإنما يقبض الله ذلك قبضا خفيا شيئا بعد شىء ، ويعقب كل جزء منه بجزء من سواد الليل حتى يذهب به ، فدل بهذا الوصف على قدرته ولطفه فى معاقبته بين الظل والشمس والليل بمصالح عباده وبلاده . وبعضهم يجعل قبض الظل عند نسخ الشمس إياه ويجعل قوله ـ قبضا يسيرا ـ أى سهلا خفيفا عليه

وهو وجه غير أن التفسير الأول أجمع للمعانى وأشبه بما أراد ﴿غ﴾ (جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً) أى سترا (والنَّوْمَ سُبَاتاً) أى راحة وأصل السبت المتمدد كما تقدم (وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً) أى ينشرون فيه (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ) يعنى المطر يسقى أرضا ويترك أرضا (وَجَاهِدْهُمْ بِهِ) أى بالقرآن (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) أى خلاهما، يقال مرج السلطان الناس إذا خلاهم ويقال: امرج الدابة إذا رعاها (والفُرَاتُ) العذب (والأُجَاجُ) أشد المياه ملوحة وهو الذى يخالطه مرارة، ويقال ماء ملح ولا يقال مالح (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً) أى حاجزا وكذلك الحجز والحجاز لئلا يختلطا (خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً) يعنى من النطفة (فَجَعَلَهُ نَسَباً) يعنى قرابة النسب (وَصِهْراً) يعنى قرابة النكاح (ظَهِيراً) أى عونا (جَعَلَ اللَّيْلَ والنهارَ خِلْفَةً) أى يخلف هذا هذا قال زهير: —

بها العين والآرام يمشين خلفةً وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

الريم ولد الظبى وجمعه آرام إذا ذهب فوج جاء فوج (وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ) أى عبيد الرحمن نسبهم اليه والناس جميعا عبيده لاصطفائه إياهم كما يقال بيت الله والبيوت كلها لله وناقة الله (يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً) أى مشيا رويدا (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً) أى سدادا من القول لا رفث فيه ولا هجر (كَانَ غَرَاماً) أى هلكة (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً) أى عقوبة (مَرُّوا كِرَاماً) لم يخوضوا فيه وأكرموا أنفسهم عنه (لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً) أى لم يتغافلوا عنها فكأنهم لم يسمعوها

عمى لم يروها . ومن المشكل (قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي) ﴿ قال أبو محمد ﴾ في هذه الآية مضمر وله أشكلت أي مايبؤ بعذابكم ربي لولا ماتدعونه من دونه من الشركاء والولد يوضح ذلك قوله عز وجل (فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاما) أي يكون العذاب لمن كذب ودعا من دونه إلها لازما ومثله من المضمر قول الشاعر : —

من شاید لی النفس فی هوة ضنك ولكن من له بالمضيق

أراد ولكن من له بالخروج من المضيق وقال الله عز وجل ـ من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ـ أي من كان يريد علم العزة لمن هي فانها لله .

﴿ غريب سورة الشعراء ومشكلها ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ (مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) أي من كل جنس حسن (وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ) أي عندي ذنب (أَنَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) الرسول يكون بمعنى الجميع كما يكون الضيف (قَالَ هُؤُلَاءِ ضَيْفِي) وكذلك الطفل قال يخرجكم طفلا قال أبو عبيدة رسول بمعنى رسالة وأنشد :

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول

أي برسالة (وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) للنعمة (قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) قال أبو عبيدة يعني من الناسين واستشهد بقوله عز وجل في موضع آخر ـ أن تضل احداهما ـ أي تنسى فتذكرها الأخرى (عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) اتخذتهم عبيداً (أَرْجِهْ وَأَخَاهُ) أي أخره وأخاه

(قَالُوا لَا ضَيْرَ) هو من ضاره يضوره ويضيره بمعنى ضره وقد قرىء وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا - يعنى لا يضركم شيئا (إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) أى طائفة (فَأَتْبَعُوهُمْ) لحقوهم (مُشْرِقِينَ) مصبحين حين شرقت الشمس أى طلعت، يقال أشرقنا أى دخلنا فى الشروق كما يقال أمسينا وأصبحنا إذا دخلنا فى المساء والصباح ، ومنه قول العرب فى الجاهلية أشرق ثبير كما تغير ، أى ادخل فى شروق الشمس (وَالطَّوْدُ) الجبل (وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ) قال الحسن أهلكنا وقال غيره جمعنا أراد جمعناهم فى البحر حتى غرقوا قال ومنه قيل ليلة المزدلفة أى ليلة الازدلاف وهو الاجتماع ولذلك قيل للموضع جمع ، ويقال أزلفنا قدمنا وقربنا ، ومنه أزلفك الله أى قربك ويقال أزلفنى كذا عند فلان أى قربنى منظراً ، الزلف المنازل والمراقى لأنها تدنو بالمسافر والراقى والنازل ، وإلى هذا ذهب قتادة فقال قربهم الله من البحر حتى أغرقهم فيه ومنه - وأزلفت الجنة للمتقين - أى أدنيت وكل هذه التأويلات متقاربة يرجع بعضها إلى بعض (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) أى خالص من الشرك (فَكُبْكِبُوا فِيهَا) أى ألقوا على رؤسهم وأصل الحرف كبوا من قولك كببت الاناء فأبدل من الباء الوسطى كافا استثقالا لاجتماع ثلاث باآت كما قالوا كمكموا من الكمة وهى القلنسوة والاصل كموا (فَافْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا) أى احكم بينى وبينهم واقض ومنه قيل للقاضى الفتاح (وَالْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) المملوء ويقال شحنت الأناء إذا ملأته (الرِّيعُ) الارتفاع من الأرض جمع ريعة وقال ذو الرمة

يصف بازيا : ـ

طِرَاقُ الخوافي واقعٌ فوق رِيعةٍ ندى ليله في ريشه يترقرق

والريع أيضا الطريق قال المسيب بن علس يذكر ظعنا

في الآل يخفضها ويرفعها ريع يلوح كأنه سَحْلُ

والسحل الثوب الأبيض شبه الطريق به (والآية) العلم (والمصانع) البناء واحدها مصنعة (لعلكم تخلدون) أي كما تخلدوا وكأن المعنى أنهم كانوا يستوقفون من البناء والحصون ويذهبون إلى أنها تحصنهم من أقدار الله تعالى (وإذا بطشتم بطشتم جبارين) يقول إذا ضربتم بالسوط ضربتم ضرب الجبارين وإذا قتلتم قتلتم (إن هذا إلا خُلُقُ الأولين) أراد اختلاقهم وكذبهم يقال خلقت الحديث واختلقته إذا افتعلته قال الفراء والعرب تقول للخرافات أحاديث الخلق ومن قرأ (خَلْق الأولين) أراد عادتهم وشأنهم (طلعها هضيم) والهضيم الطلع قبل أن تنشق عنه القشرة وتنفتح، يريد أنه منضم مكتنز ومنه قيل رجل أهضم الكشحين إذا كان منضمهما (فرهين) أشرين بطرين، ويقال الهاء فيه مبدلة من الحاء أي فرحين والفرح قد يكون السرور ويكون الاشر ومنه قول الله تعالى ـ إن الله لا يحب الفرحين ـ أي الأشرين ومن قرأ (فارهين) فهي لغة أخرى يقال فَرِهٌ وفارهٌ كما يقال فرح وفارح ويقال فارهين حاذقين (إنما أنت من المسحرين) أي من المعللين بالطعام والشراب يريدون إنما أنت بشر وقد تقدم ذكر هذا (لها شِرْبٌ) أي حظ من الماء (القالين) أي المبغضين يقال قليت الرجل أي أبغضته (الأيكة)

الفيضة وجمعها أيك (وَالْجِبِلَّةَ) الخلق يقال جبل فلان على كذا وكذا أى خلق قال الشاعر :-

والموتُ أعظمُ حادثٍ ... مما يمرُّ على الجبلّة

(فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ) أى قطعة من السماء يقال كسف وكسفة كما يقال قطع وقطعة وكسف جمع كسفة كما يقال قطع (أَوَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) أى علامة (عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ) يقال رجل أعجم إذا كانت فى لسانه عجمة وإن كان عربى النسب ورجل عجمى إذا كان من العجم وإن كان فصيح اللسان (كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) أدخلناه (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ) عن الاستماع بالزجر وقوله (يُلْقُونَ السَّمْعَ) أى يسترقونه (يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) قوم يتبعونهم يتحفظون سب النبى ﷺ ويروونه (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) أى فى كل واد من القول وفى كل مذهب (يَهِيمُونَ) يذهبون كما تذهب البهائم على وجهها

غريب سورة النمل ومشكلها

(وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ) أى يلقى عليك فتلقاه أنت فتأخذه (والشِّهَاب) النار والشهاب الكوكب فى موضع آخر (وَالْقَبَس) النار يقال قبست النار قبسا واسم ماقبست قبس (الْجَانُّ) الحية التى ليست بعظيمة (وَلَمْ يُعَقِّبْ) أى لم يرجع ويقال لم يلتفت يقال كر على القوم وما

عقب ، ويرى أهل النظر أنه مأخوذ من العقب (يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ) قد تقدم فى المشكل أن الاستثناء لم يقع من المرسلين ، إنما وقع من معنى مضمر فى الكلام كأنه قال لا يخاف . هذا قول الفراء وهو بعيد عند أبى محمد لأن العرب إنما تحذف من الكلام مايدل عليه مايظهر ، وليس فى ظاهر هذا الكلام على هذا التأويل دليل على باطنه قال : والذى فيه عندى أن موسى عليه السلام كان مستشعراً خيفة أخرى من ذنبه فى الرجل الذى وكزه فقضى عليه فقال (إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا) أى توبة وندما (فَإِنَّهُ لَا يَخَافُ) وإنى غفور رحيم . وبعض النحويين يجعل إلا من ظلم بمعنى ولا من ظلم كقوله عز وجل ـ لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم ـ على مذهب من تأول هذا فى إلا (تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ) أى هذه الآية مع تسع آيات (مَنْطِقَ الطَّيْرِ) قال قتادة النمل من الطير والنمل من الحكل والحكل مالا يسمع له صوت قال رؤبة :

لو كنتُ قَدْ أوتيتُ علم الحُكْلِ ... عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ النَّمْلِ (١)

الحكل صغار النمل وقال العجاج يمدح رجلا

وَيَفْهَمُ قولَ الحُكْلِ لو أنَّ ذَرَّةً ... تُسَاوِدُ أخرى لَمْ يفته سوادُها

والسواد السرار جعل قولها سرارا لأنها لا تصوت ﴿غ﴾ (فَهُمْ

---

(١) قال فى لسان العرب : نسبه الأزهرى الرؤبة ، وقال ابن برى الرجز للعجاج وصوابه: والصخر مبتل كطين الوحل ... أو كنت قد أوتيت علم الحكل

كنت رهين هرم أو قتل

يُوزَعُونَ) أى يدفعون وأصل الوزع الكف والمنع ويقال وزعت الرجل اذا كففته ووازع الجيش هو الذى يكفهم عن التفرق ويرد من شذ منهم وقوله (رَبِّ أَوْزِعْنِى) أى ألهمنى ، وأصل الايزاع الاغراء بالشىء يقال أوزعته بكذا وكذا أى أغريته ، وهو موزع بكذا وموزع بكذا ومنه قول أبى ذؤيب فى الكلام

أُولَى سَوابِقِها قَرِيباً يُوزَعِ

أى يغرى بالصيد (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً) يقال نتف الريش (أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) أى بعذر بين (عَرْشٌ عَظِيمٌ) أى سرير (الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) أي المستتر فيهما وهو من خبأت الشىء إذا أخفيته وقالوا خبء السموات المطر وخبء الأرض النبات (أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ) أى شريف بشرف صاحبه ويقال بالخاتم (أَلاَّ تَعْلُوا عَلَىَّ) من العلو أى لاتتكبروا (لاَقِبَلَ لَهُمْ بِهَا) أى لا طاقة (قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ) أى شديد وثيق وأصله عفر زيدت التاء فيه يقال عفريت نفريت وعفرية نفرية وعفارية ، ولم أسمع بنفارية (قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَقَامِكَ) أى من مجلسك الذى قعدت فيه للحكم قال الله عز وجل ـ إن المتقين فى مقام أمين ـ أى فى مجلس ويقال للمجلس مقام ومقامة وقال فى موضع آخر ـ فى مقعد صدق ـ أى مجلس وقوله (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قيل فى تفسير أبى صالح قبل أن يأتيك الشىء من

مدى البصر ويقال بل أراد قبل أن تطرف (فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ) أى رأى العرش (نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا) أى غيروه ويقال نكرت الشيء فتنكر أى غيرته فتغير (الصَّرْحُ) القصر وجمعه صروح ومنه قول الهذلى:

يَحْسِبُ أَعْلَامَهُنَّ الصُّرُوحَا (١)

ويقال الصرح بلاط اتخذ لهلمن قوارير وجعل تحته ماء وسمك (وَالْمَرَّدُ) الأملس يقال مردت الشيء إذا بالغته وملسته ، ومن ذلك الأمرد الذى لا شعر فى وجهه ، ويقال للرملة التى لا تنبت مرداء ويقال الممرد المطول ومنه قيل لبعض الحصون مارد ، ويقال فى مثل تمرد مارد وعز الأبلق (قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ) أى تطيرنا بك وتشاءمنا بك ، فأدغم التاء فى الطاء وأثبت الالف ليسلم السكون لما بعدها (قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ) أى ليس ذلك منى وإنما هو من الله (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) أى تبتكون (تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ) أى تحالفوا بالله (لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ) أى لنهلكنهم ليلا (ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) (الْحَدَائِقُ) البساتين واحدها حديقة سميت بذلك لأنها يحدق عليها أى يحاط ومنه حدقت بالقوم إذا أحطت بهم (ذَاتَ بَهْجَةٍ) أى ذات حسن (وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ) متى (يَبْعَثُونَ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ) أى تدارك ظنهم فى الآخرة وتتابع بالقول والحدس ﴿وفى المشكل﴾ المعنى وما يشعرون متى يبعثون إلا بتتابع الظنون فى علم الآخرة فهم يقولون

---

(١) نسبه صاحب اللسان إلى أبى ذؤيب . وصدره : على طرق كنعور الظبا

تارة انها تكون وتارة انها لا تكون والى كذا تكون ، وما يعلم غيب ذلك إلا الله ﴿ والكلام فى كتاب الغريب ﴾ فى هذه الآية على حاله فى المشكل إلا لفظا يسيرا كتبناه (بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ) أى من علمها وكان ابن عباس رضى الله عنه يقرؤها ـ بل ادارك علمهم ـ وهذه القراءة أشد إيضاحا للمعنى لأنه قال : وما يشعرون متى يبعثون ثم قال بل تدارك ظنونهم فى علم الآخرة فهم يحدسون ولا يدرون (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ) أى تبعكم واللام زائدة كأنه قال ردفكم وقيل فى التفسير دنا لكم (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ) أو وجبت الحجة (فَهُمْ يُوزَعُونَ) أى يحبس أولهم على آخرهم (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً) أى واقفة (وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) هذا إذا نفخ فى الصور يريد أنها تجمع وتسير فهى لكثرتها كأنها جامدة وقد ذكره فى صدر المشكل فيما جمع الكثير من المعانى فى القليل من اللفظ نحو ـ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ـ ونحو ـ أخرج منها ماءها ومرعاها ـ كيف دل بشيئين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتا ومتاعا للأنام من العشب والشجر والحب والثمر والعصف والحطب واللباس والنار والملح ، لأن النار من العيدان والملح من الماء. ينبئك أنه أراد ذلك قوله ـ متاعا لكم ولأنعامكم ـ ومنه قوله أيضا ـ ولكم فى القصاص حياة ياأولى الالباب ـ يريد ان سافك الدم إذا أقيد منه ارتدع من كان يهم بالقتل كان فى القصاص حياة وهو قتل وقد ذكر فى سورة الاعراف بأشبع من هذا وسنذكر باقى الباب فيما

نستقبل من الكتاب إن شاء الله عز وجل

﴿غريب سورة القصص ومشكلها﴾

(مِنْ نَبَإِ مُوسَى) أى من خبره (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) أى فرقا وأصنافا فى الخدمة ﴿قال أبو محمد﴾ (يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ) يعنى بنى إسرائيل (وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) للأرض (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى) أى ألقينا فى قلبها ومثله - وإذ أوحيت إلى الحواريين - وقد تقدم أن الوحى كل ما دللت عليه من كلام أو كتاب أو إشارة أو رسالة (فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ) أى فى البحر (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) لم يلتقطوه فى وقتهم ذلك لهذه العلة وإنما التقطوه ليكون لهم ولدا بالتبنى فكان عدوا وحزنا فاختصر الكلام (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) قال أبو عبيدة فارغا من الحزن لعلمها أنه لم يقتل، أو قال لم يفرق وهذا من أعجب التفسير كيف يكون فؤادها من الحزن فارغا فى وقتها ذلك والله سبحانه يقول (لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا) وهل يربط إلا على قلب الجازع المحزون؟ والعرب تقول للخائف والجبان فؤاده هواء لا يعى عزما ولا صبرا، قال الله عز وجل - وأفئدتهم هواء - وقد خالفه المفسرون إلى الصواب قالوا أصبح فارغا من كل شىء إلا من أمر موسى، كأنها لم تهتم بشىء مما يهتم به الحى إلا أمر ولدها (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) أى قصى أثره أى ابتغيه (فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ) أى عن بعد منها عنه واعراض لئلا يفطنوا لها والمجانبة من هذا (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بها (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) أى

معناه أن يرضع المراضع جمع مرضع (يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ) أى يضمونه اليهم (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) قد تقدم ذكره (وَاسْتَوَى) استحكم وانتهى شبابه واستقر فلم تكن فيه زيادة (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا) يقال نصف النهار (هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ) أى من أصحابه يعنى من بنى إسرائيل (وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ) أى من أعدائه والعدو يدل على الواحد وعلى الجميع (فَوَكَزَهُ مُوسَى) أى لكزه يقال وكزته ولكزته ولهزته إذا دفعته (فَقَضَى عَلَيْهِ) أى قتله وكل شىء فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه (خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) أى ينتظر سوءا يناله منهم (فَإِذَا الَّذِى اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ) أى يستغيث به الاسرائيلى (قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُبِينٌ) أى غويتنى بالامس حتى قتلت بنصرك رجلا ويجوز أن يكون لعدوهما (يَسْعَى) أى يسرع (قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ) يعنى الوجوه من الناس والأشراف يأتمرون بك قال أبو عبيدة يتشاورون فيك ليقتلوك واحتج بقول الشاعر[1]

أمر ابن عمرٍو كأنى عمر ... ويعدو على المرء ما يأتمر

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا غلط بين لمن تدبره ومنادة للمعنى كيف يعدو على المرء ماشاور فيه والمشاورة بركة وخير وإنما أراد يعدو عليه ماهمّ به الناس من الشر ومثله قولهم من حفر حفرة وقع فيها وقوله (إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ

---

(١) هو امرؤ القيس ورواية لسان العرب : ويعدو على المرء ما يعتمر . ولا شاهد فيه .

بكَ) إنما معناه يهمون بك يدلك على ذلك قول النمر بن تولب

اعلمى ان كل مؤتمر ... مخطىء فى الرأى أحيانا

فاذا لم يصب رشدا ... كان بعض اللوم ثنيانا

يقول العلمى أن من ركب هواه وفعل ماقبل بغير مشاورة لابد أن يخطىء أحيانا فاذا لم يصب رشدا لامه الناس مرتين مرة لركوبه الأمر بغير مشاورة ومرة لغلطه ، ومما يدلك على ذلك أيضا قوله عز وجل ـ وأتمروا بينكم بمعروف ـ لم يرد تشاوروا وإنما أراد هموا به واعتزموا عليه وقالوا فى تفسيره هو ألا تضر المرأة بزوجها ولا الزوج بالمرأة ولو أراد المعنى الذى ذهب اليه أبو عبيدة كان أولى به (إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ) أى يستأمر بعضهم بعضاً (تِلْقَاءَ مَدْيَنَ) أى تجاه مدين ونحوها وأصله اللقاء زيدت فيه التاء قال الشاعر (١)

* فاليوم قصر عن تلقائك الأملُ *

أى عن لقائك (سَوَاءَ السَّبِيلِ) أى قصده (وَوَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ) أى جماعة (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ) أى تكفان غنمهما وحذف الغنم اختصاراً وفى تفسير أبى صالح تحبس إحداهما الغنم على الأخرى (قَالَ مَا خَطْبُكُمَا) أى ما أمركما وما شأنكما (يُصْدِرَ الرِّعَاءُ) أى يرجع الرعاء ومن قرأ ـ يَصْدُرَ الرِّعَاءُ ـ أراد يرد الرعاء أغنامهم عن الماء (عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي) يابنى من التزويج والأجر من

(١) هو الراعى وصدر البيت : أملت خيرك هل تأتى مواعده

الله عز وجل إنما هو الجزاء من العمل (فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ) قال المفسرون لا سبيل علي والأصل من التعدي (اوجذوة مِنَ النَّارِ) أي قطعة ومثلها الجذمة وفي التفسير الجذوة عود قد احترق (اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) أي أدخل يدك يقال سلكت يدي وأسلكتها (وَالْجَنَاحُ) الابط والجناح اليد أيضاً (وَالرَّهَبُ) والرَّهْبُ والرهبة (وَبُرْهَانَانِ) أي حجتان (أَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً) أي معينا يقال أردأته على كذا وكذا أي أعنته (وَيَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا) أي حجة (فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ) أي اصنع لي الآجر (فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا) أي قصرا عاليا (وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) أي مقيما يقال ثويت بالمكان إذا أقمت به ومنه قيل للضعيف الثوى (سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا) أي تعاونا (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ) أي أتبعنا بعضه بعضا فاتصل عندهم يعني القرآن (أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا) أي لم نسكنهم إياه ونجعله مكانا لهم (بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا) أي أشرت وكأن المعنى أبطرتها معيشتها كما تقول أبطرك مالك فبطرت (فِي أُمِّهَا رَسُولًا) أي في أعظمها (ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) أي محضري النار عافانا الله منها برحمته (الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) أي وجبت عليهم الحجة فوجب العذاب (فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ) أي عموا عنها من شدة الهول يومئذ فلم يجيبوا والأنباء الحجج هاهنا (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) أي يختار للرسالة (مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) أي لا يرسل الله الرسل على اختيارهم (السَّرْمَدُ) الدائم (وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) أي أحضرنا رسولهم

المبعوث اليهم (لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ) أى تميل بها العصبة إذا حملتها من ثقلها يقال ناءت بالعصبة مالت بها وأنامت العصبة أمالتها ونحوه فى المعنى قوله ـ ولا يؤوده حفظهما ـ أى لا يثقله حتى يؤوده أى يميله والعصبة مابين العشرة إلى الاربعين وفى تفسير أبى صالح ـ ماإن مفاتحه يعنى الكنز نفسه وقد يكون المفاتح مكان الخزائن وقوله فى موضع آخر ـ أو ما ملكتم مفاتحه ـ أى ملكتموه من المخزون قال ـ وعنده مفاتح الغيب ـ نرى أنها خزائنه (لَا تَفْرَحْ) لا تأشر ولا تبطر قال الشاعر : ـ

ولَسْتُ بِمِفْراحٍ إذا الدهرُ سرّنى ... وَلا جَازِعٍ من صرفه المُتَحَوِّلِ

أى لست بأشر فأما السرور فليس بمكروه ﴿ وقال فى المشكل ﴾ أصل الفرح المسرة كما قال ـ وفرحوا بها ـ أى سروا بها ، والفرح الرضا لأنه عن المسرة يكون قال الله عز وجل ـ كل حزب بما لديهم فرحون ـ أى راضون وقال ـ فرحوا بما عندهم من العلم ـ أى رضوا والفرح البطر كما ذكر فى الغريب قال الله سبحانه ـ ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ـ وقد تبدل الحاء هاء فى هذا فيقال فره أى بطر قال الله تبارك وتعالى ـ وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين ـ أى أشرين بطرين والهاء تبدل من الحاء لقرب مخرجيهما تقول مدحته ومدهته بمعنى واحد ﴿ غ ﴾ (وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) أى لا تترك حظك منها (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِى) أى لفضل عندى وروى أنه كان أقرأ بنى إسرائيل للتوراة (وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) قال قتادة يدخلون النار بغير حساب

وقال غيره يعرفون بسيماهم (وَلَا يُلَقَّاهَا) أى لا يوفق لها ويرزقها (وَيْكَأَنَّ اللَّهَ) قال قتادة فى الغريب: وذكر الخليل رحمه الله أنها وى مفصولة ثم تبتدىء فتقول كأن وقال ابن عباس فى رواية أبى صالح هى - كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء - كأنه لا يفلح الكافرون - وقال - وى - صلة فى الكلام وهذا شاهد لقول الخليل، ومما يدل على أنها كأن أنها قد خففت أيضا كما تخفف كأن قال الشاعر : -

وى كأن من يكن له نسب يحبـ ـبه ومن يفتقر يعش عيش ضُرّ

وقال بعضهم - ويكأن - أى رحمة لك بلغة حمير كأن تشبيه وهى أن دخلت عليها كاف التشبيه الخافضة، ألا ترى أنك تقول شربت شرابا كأنه عسل وشربت شرابا كعسل فتكونان سواء. وقد تخفف كأن ويحذف الاسم فتكون كالكاف قال الشاعر : —

جُمومُ الشَّدِّ شائله الذُّبابا وهادِيها كأن جذع سحوق (١)

أراد كجذع . وقال آخر : -

كأن ظبية تعطو إلى ناضر السلم (٢)

أراد كظبية ﴿ غ ﴾ (إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) أى أوجب

---

(١) هو للنمر بن تولب وصحته:

جموم الشد شائلة الذنابى ثخال بياض غرتها سراجا

اه من لسان العرب

(٢) هو الباغث بن صريم اليشكرى وصدره : ويوما توافينا بوجه مقسم